

لماذا التمييز ضد الأقليات الإسلامية؟

فى يوم ٢٣ فبراير عام ١٨٦٢ وقف المفكر الفرنسى المشهور أرنست رينان لإلقاء محاضرة فى (الكوليج دى فرانس) محورها أن الإسلام هو النفسى، والنقيض لأوروبا، ومنذ ذلك التاريخ تكوّن شعور لدى المفكرين فى الغرب بضرورة وجود قطبين فى العالم، وهذا ما جعل المفكرين الغربيين يتساءلون بعد انهيار الكتلة الشرقية - أحد القطبين فى الصراع العالى - منّ القطب الثانى الذى يمثل التحدى أمام الغرب؟.

وأمام الإحساس بضرورة وجود قطب ثان فى العالم ظهرت نظرية (الإسلام هو النقيض) وعبر عن ذلك كل من المفكر الأمريكى اليابانى الأصل (فرانسيس فوكوياما) فى نظريته عن (نهاية التاريخ) بأن الصراع التالى هو الصراع بين الغرب والإسلام، ويتوقف الصراع فى العالم عندما ينتهى بانتصار الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية. وتأكّدت هذه العقيدة بشكل أقوى وأكثر وضوحاً فى نظرية المفكر الأكاديمى الأمريكى (صمويل هنتنجتون) عن صدام الحضارات التى قرر فيها أنه لا مفر من هذا الصدام، بكافة أبعاده الديموية، فكأن النظرة للعالم فى الغرب قائمة على وجود قطبين فى العالم - كما يقول المفكر الألمانى (د. مراد هوفمان): (هنا وادى السيليكون.. وهنا وادى مكة)! وكأن العالم لم يتطور منذ أعلن (أرنست رينان) نظريته فى القرن التاسع عشر، وقد ظهرت هذه الحقيقة فى استفتاء أجرى فى ألمانيا عام ١٩٩٥ قرر فيه ٤٨٪ أنهم يرون الإسلام خطراً يهدد الحضارة والثقافة الغربية.

وقد تصدى المفكر الألمانى المسلم د. (مراد هوفمان) لمهمة نذر نفسه لها هى الإسهام فى الكشف عن حقيقة الإسلام، وأنه لا مبرر للمخاوف ولا لمشاعر العداوى لدى كل من الغرب والإسلام. ومنذ اعتزاله العمل سفيراً لبلاده فى عدد من الدول العربية عام ١٩٩٤، وهو يتجول محاضراً متنقلاً بين (هلسنكى ولوس انجيلوس وليبزج) وبقية المدن الغربية والإسلامية.

ومن هذه الجولات المستمرة بين الشرق والغرب خرج (د. هوفمان) بنتيجة هي أن الإسلام إذا كان مقدرًا له أن يحقق نجاحًا في الغرب. فإنه سيحققه في أمريكا لأن أمريكا بلد يتميز بالتنوع الديني الهائل ويسمح لمختلف الديانات والطوائف والفرق بحرية الحركة، ولا يماثله في ذلك بلد في أوروبا سوى هولندا، وقد طرح الكثير من الأفكار في هذا السياق في كتابه (الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود) الذي ترجمه الأستاذان عادل المعلم ويس إبراهيم.

ففي أمريكا يعتقد الكثير من المسلمين السود أن أسلافهم الذين وقعوا في رق العبودية ونقلوا إلى أمريكا كانوا مسلمين، وأن تجار الرقيق الذين خطفوهم كانوا من اليهود، وأن أصحاب السفن التي نقلوا عليها كان يملكها يهود، وأنهم أصبحوا (بضاعة) لتجار الرقيق من المسيحيين. وهناك قوائم بأسماء سفن نقل العبيد ومالكها اليهود تتداولها أوساط السود في أمريكا، وفي رأي (د. هوفمان) أن اعتناق الأمريكيين السود للإسلام في الوقت الحاضر يحمل احتجاجًا ثقافيًا سياسيًا كما يحمل الحنين إلى الماضي، وإلى الجذور، ولكن كان هناك إلى وقت قريب ظاهرة سلبية في مجتمع المسلمين السود في أمريكا، وهي نمو جماعة (أمة الإسلام) التي كان يتزعمها (اليجا محمد) والذي كان ينسب لنفسه النبوة، ويدعو إلى إسلام يعادى البيض واليهود، أي إسلام عنصري، وعن طريق (اليجا محمد) اعتنق الإسلام كثير من الشخصيات الشهيرة مثل (مالكولم إكس) الذي كان زعيمًا من زعماء المسلمين السود، وبطل الملاكمة المعروف محمد علي كلاي، وبعد وفاة اليجا محمد تولى زعامة هذه الجماعة ابنه (وريث الدين محمد) فقادها في اتجاه آخر يبنذ كافة أشكال العنصرية، ودعا إلى توحد الجماعات الإسلامية في أمريكا. كذلك كانت دعوة (مالكولم إكس) قائمة على أن أمريكا في حاجة إلى الإسلام، لأنه وحده قادر على تخليص المجتمع الأمريكي من عنصريته، وبذلك لم يعد هناك زعيم من زعماء المسلمين الأمريكيين السود يدعو إلى إسلام عنصري سوى الزعيم الجديد لجماعة (أمة الإسلام) (لويس فراخان)، وإن كان قد بدأ منذ عام ٢٠٠٠ في الاقتراب من الفكر المعتدل للجماعة السنية من المسلمين الأمريكيين من أصول أفريقية.



أما بالنسبة للمسلمين الأمريكيين غير السود فإن معظمهم من دول إسلامية ذهبوا إلى أمريكا للدراسة واستقروا فيها واكتسبوا الجنسية الأمريكية بعد ذلك، وهؤلاء من الأكاديميين وعلى درجة عالية من العلم والثقافة وكثير منهم يشغلون مواقع مهمة في المؤسسات العلمية والمالية ويديرون شركات متخصصة في البرمجيات، وبعضهم غرس جنوره في أمريكا. كما أن بعضهم نشط في المشاركة في الحياة السياسية. وفي أمريكا منظمات إسلامية كثيرة مثل (مجلس المسلمين الأمريكيين) و(منظمة المسلمين الأمريكيين) التي تشجع المسلمين الأمريكيين على المشاركة في الانتخابات ليكون لهم تأثير في المجتمع، وكذلك منظمة (كاير CAIR) التي تخصص نشاطها

في الإعلام وحماية المسلمين من الاضطهاد والتصدى لتيارات العداء للإسلام. ومن أمثلة نشاط هذه المنظمة؛ أنها لجأت إلى القضاء ضد إدارة مطار دالاس في العاصمة واشنطن حين طردت ٧ موظفات بسبب ارتدائهن الحجاب، وحصلن على حكم بعودتهن إلى العمل وحقهن في التعويض، وفي مرة أخرى هدت المنظمة شركة (ماستر كارد) بالمقاطعة بسبب إعلان لها خادش للحياء في أحد المساجد. وفعلت نفس الشيء مع شركة (نايكي) للأحذية الرياضية بسبب نعل حذاء عليه كلمة (الله) باللغة العربية. وأيضاً فعلت ذلك مع دار نشر (سايمون وشوستر) بسبب كتاب للأطفال كان يحتوى على فصل فيه إهانات للإسلام. وتقوم هذه المنظمة بإصدار تقرير مفصل عن وضع الحقوق المدنية للمسلمين في أمريكا وإعلانه في مؤتمر سنوي ويتضمن هذا التقرير بالتفصيل الوقائع المعادية للإسلام، وتوجد أيضاً (المنظمة الإسلامية لأمريكا الشمالية) التي تعقد مؤتمرات يحضرها آلاف من المسلمين الأمريكيين من كافة الولايات.



ويقدم (د. هوفمان) صورة لواقع المسلمين الأمريكيين قبل ولاية الرئيس (جورج دبليو بوش) وقيادة التيار اليميني المتشدد للإدارة الأمريكية، وقبل أحداث ١١ سبتمبر وإعلان الرئيس بوش الحرب الصليبية على الإرهاب.. ولذلك فإن الصورة الوردية لأحوال المسلمين التي يتحدث عنها تغيرت إلى حد كبير.. ولكن تبقى المؤسسات الإسلامية كما هي تعمل جاهدة على تصحيح صورة الإسلام في أمريكا..

وتصدر في أمريكا أهم المجلات الإسلامية في العلوم الاجتماعية، كما أن في أمريكا كلية للدراسات الإسلامية بولاية فيرجينيا، وفيها عدد من دور النشر الإسلامية، ومعهد الدراسات الإسلامية والعربية بولاية فيرجينيا أيضاً وعدد من المدارس الإسلامية الخاصة، وإن كانت النشاطات الثقافية الإسلامية تتركز في (نيويورك وواشنطن، وشيكاغو، ولوس أنجيلوس)، كما يوجد في أنحاء أمريكا أكثر من ٣٥٠٠ مسجد.

من هذه الحقائق يتساءل (د. هوفمان) هل من الممكن أن يستمد الإسلام بواعث نهضته من أمريكا في الألفية الثالثة؟.

والسؤال يبدو غريباً، ولا يخطر على البال مع ما نعرفه من نزعة العداء للإسلام والتضييق على المسلمين في أمريكا، إلا أن (د. هوفمان) يرى أن هذا السؤال له ما يبرره لكثرة أعداد المثقفين المتعلمين المسلمين في أمريكا، ولكنه سرعان ما يتدارك فيقول: إنه لا بد من الإشارة إلى أن مسلمي أمريكا يواجهون الكثير من المواقف الصعبة الشرسة نظراً لوجود آلة الإعلام الصهيونية والنفوذ الصهيوني وهم يتصورون أنهم يفيدون إسرائيل عندما يشوهون صورة الإسلام، ويقرر (د. هوفمان)

- بعد دراسته لأوضاع المسلمين في أمريكا ومعايشته للمجتمع الأمريكي من خلال الدراسة والزيارات المتكررة - أن وضع المسلمين في أوروبا - بالنسبة لهذه النقطة - أفضل بكثير من وضعهم في أمريكا، خاصة بعد أن ازداد تدهور الأمور بعد الانفجار في مدينة أوكلاهوما يوم ١٩ مارس ١٩٩٥، فقد كان رد الفعل الذي عمّ أمريكا فور وقوع الحادث هو إلصاق التهمة بالمسلمين دون وجود أى دليل على ذلك، وتم إلقاء القبض على مسافر عربي ملتح في المطار وهو متجه إلى إنجلترا ووجه إليه الاتهام، وفي الأيام التالية وقعت ٢٠١ حادثة اعتداء وهجوم على منشآت إسلامية وأشخاص مسلمين منها: اعتداءات بالأسلحة الخفيفة، والضرب المبرح، وكسر النوافذ الزجاجية، والتهديد بالقتل وإلقاء القنابل، ووجد الأطفال المسلمون أنفسهم منبوذين فجأة ولا يكلمهم زملاؤهم في المدرسة، وبعد ذلك تم إلقاء القبض على الجاني الحقيقي وظهر أنه أمريكي مسيحي، ومع ذلك فقد ترك هذا الحادث تأثيرا سلبيا على المسلمين الأمريكيين عموما، كذلك تغير وضع المسلمين الأمريكيين بعد إلقاء القبض على راب (الفهد الأسود) وهو أمريكي أسود كان مسجوناً وأسلم وتعلم اللغة العربية وهو في السجن، وأصبح بعد ذلك إماما يحمل اسم (عبد الله الأمين) ويرأس جمعية مساجد أطلنطا) بولاية جورجيا ويعتبر من أكثر الشخصيات الإسلامية نفوذاً في أمريكا، وبالرغم من ذلك وجه مكتب التحقيقات الفيدرالية إليه تهمة القتل، وقدم إلى المحكمة مستندا إلى شهادة أحد الشهود، لكن هذا الشاهد قرر أمام المحكمة أن البوليس أجبره على الإدلاء بالشهادة الزور، وحكمت المحكمة ببراءته وأعلن الشاهد إسلامه بعد ذلك.

ويقرر (د. مراد هوفمان) أن تأثير القوى الصهيونية قوى للغاية ومسيطر على الإعلام والجامعات والمؤسسات المالية والكونجرس والحكومة. حتى يبدو أن السياسة الأمريكية تجاه العالم الإسلامي لا تضع المصلحة القومية لأمريكا في الاعتبار عندما تتخذ قراراتها.. ويشير إلى بعض الكتب التي تكشف هذه الحقيقة مثل كتاب (من يجرؤ على الكلام؟) تأليف عضو الكونجرس السابق (بول فندلي)، وكتاب (أمة واحدة تحت سيطرة إسرائيل) تأليف (اندرو هارلي).. ويقول: إن القبض على مسلمين دون توجيه تهمة معينة إليهم يتكرر كثيرا، وقد ازداد تيار العداء بعد ظهور فيلم (الحصار The Siege) الذي صور المسلمين الأمريكيين على أنهم خطر إرهابي يهدد الولايات المتحدة.

وعلى الجانب الآخر هناك بعض الكتاب الأمريكيين يلمحون إلى أن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد لهم دينهم وأن تجديد الإسلام في القرن الحادى والعشرين سينطلق من أمريكا، كما في كتاب (بتى بومان Betty Bowman) (الشمس تشرق من الغرب).

وهذا التنبؤ - فيما أعتقد - يحتاج إلى مراجعة لأنه متفائل أكثر من اللازم (!).



يقول د. هوفمان: إن ما يشغل الناس في الغرب هو ما سيصيب أسلوب حياتهم إذا أصبح المسلمون في الغرب أغلبية، وهذه المخاوف وإن لم تكن معلنة إلا أنها مخاوف حقيقية، عبّر عنها كتاب كثيرون مثل الكاتب الألماني (فييم دياتل Wiheim Dietl) في كتابه (الحرب المقدسة في سبيل الله)، وكذلك (جيرهارد كونزلمان Gerhard Konzelman) في كتابه (التحدى الإسلامي) وبيتر شول في كتابه (هل يأتي المسلمون؟) وكلها تعبر عن مخاوف من المستقبل إذا استمر معدل انتشار الإسلام في الغرب على ما هو عليه.



ويناقد (د. هوفمان) هذه المخاوف مستندا إلى الواقع والمنطق ويصل إلى أنها مخاوف لا أساس لها ويشرح (د. هوفمان) للغربيين موقف الإسلام فيقول: إنه لا يعادى الديانات الأخرى، ويشير إلى الخطأ الذي يقع فيه دارسو الإسلام في الغرب بسبب سوء فهمهم للآية ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران ١٩) فإن ترجمتها أدت إلى مفهوم مختلف، فهي تترجم على أن الدين عند الله هو دين الإسلام، وقد فهموا من ذلك أن الأديان الأخرى ليست ديانات من عند الله، ولم يفهم المترجمون أن كلمة (الإسلام) تستخدم في القرآن بمعناها الأصلية في اللغة العربية وهو التسليم لله، وهذا هو المعنى الذي فهمه الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحابته، وتؤكد هذا المعنى في آيات القرآن الكريم عند الحديث عن معظم الأنبياء، على أنهم مسلمون وأنهم أسلموا وجههم لله، فالعنى الصحيح للآية أن الأديان جاءت لدعوة البشر إلى التسليم لله، وهذا ما ينطبق على الآية ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران ٨٥) ويسرى كذلك على الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (التوبة ٣٣) (والصف آية ٩) والمترجمون لم يدركوا معنى الفعل (ظهر) في اللغة العربية ففهموا أنه يعنى إلغاء الديانات الأخرى، بينما الفعل (ظهر) يعنى أنه تميز وسطح على الديانات الأخرى، ولم ينكرها.. وعلى ذلك فإن الذين يؤسسون نظريتهم عن عداة الإسلام للأديان الأخرى يخطئون في فهم الآيات التي يستندون إليها.

والدليل الصحيح هو الآية ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (المائدة ٤٨) والآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة ٢٥٦) والآية ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون ٦) والآية ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف ٢٩). والآيات ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُمُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَمَلَىٰ هُدًى مَسْتَقِيمٌ﴾ (٦٧) وَإِنْ جَدَلْتُمْ وَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿ (الحج ٦٧-٦٩).

وكذلك الآيتان ﴿ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكِمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْسَوْا وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿ (المائدة ٤٣-٤٤).

ويقول (د. هوفمان) إن هذه الآيات تكفي دليلاً على أن موقف الإسلام من الديانات الأخرى يتحدد في النقاط الآتية:

أولاً: أن التنوع الديني العرقي طبيعة أرادها الله.

ثانياً: أن الإيمان مسألة لا تخضع لأي ضغوط أو إكراه.

ثالثاً: أن النزاعات العقائدية غير مثمرة.

ويدل ذلك على موقف فريد للإسلام جدير بالإعجاب، يهدف إلى التعايش بين الشعوب والديانات، ويتجاوز ذلك إلى ما هو أبعد، وهو أن وحدة الإيمان تتضمن التنوع في العقائد والديانات وكلها عبادة الله الواحد، كما أن وحدة البشرية تتضمن التنوع في اللون واللغة، وفي النهاية فإن وحدة البشر جزء من وحدة الكون، وكل ما في الكون يلتقى على مبدأ واحد، وهو العبودية لله ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ﴾ (الحج ١٨).

ولذلك فلا يوجد - في دين الإسلام - عداً بين السني والشيعة، والكاثوليكي والبروتستانتي، والمسيحي واليهودي، والبوذي والهندوسي من حيث إنهم جميعاً بشر من خلق الله، خلقهم جميعاً من نفس واحدة (آدم) وخلق منها زوجها (حواء) وهم جميعاً شركاء في الفطرة الإنسانية. هكذا فهم (د. هوفمان) الإسلام.



وفي مناقشته لنظريات الغرب عن الإسلام يقول د. هوفمان: إن الإسلام لا يقوم فقط على التسامح بين الأديان ووحدة الإنسانية وإن كان هذا المبدأ هو الركيزة الأولى في الإسلام، إلا أن هناك الركيزة الثانية وهي الرباط الذي يجمع بين كافة المؤمنين بالله وبجميع المؤمنين بالشرائع السماوية وبالأنبياء من إبراهيم إلى محمد (عليهما السلام) كما في الآية ﴿ سَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (النشورى ١٣).

ويقول (د. هوفمان) بعد ذلك: إن المسيحيين يسيئون فهم (وحدة المخلوقات) وما يعنيه الإسلام بها، كما يرتابون كثيرا في (الرابطة الإبراهيمية) ولديهم شك في أنها فخ منصوب لهم. ولكن الإسلام واضح وقاطع في أنه يرفض دخول أحد في الإسلام بالإكراه، والإسلام قائم على أن الوحدة بين المتنوعين ممكنة، وهذه (القاعدة الإبراهيمية) هي القاعدة الطبيعية لأي حوار إسلامي- مسيحي أو حوار إسلامي- مسيحي- يهودي، وإذا بدأت هذه الحوارات من منطلق هذا الفهم وبهذه الروح فسوف تزيل الكثير من سوء الفهم المتراكم عبر القرون.

وينبه د. هوفمان إلى أن هذا الحوار لا يهدف إلى توحيد الأديان، ولا إلى تشكيك أصحاب دين في دينهم، فهناك قاسم مشترك بين الأديان تلتقى عنده وتتعاون في إبطائه، وهناك أمور غير قابلة للنقاش أو التفاوض حولها أو التفريط فيها، فالطريق إلى الله كما جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) سيظل منسوبا إليه، والإيمان بالله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد مسألة غير قابلة للمساس بها عند المؤمنين برسالته.



ويخصص (د. هوفمان) في كتابه (ديانة في صعود) صفحات لموقف الإسلام من الأقليات للرد على ما يثار في الغرب من مبالغات حولها، فيقول: إن الشريعة الإسلامية تجعل الحماية لغير المسلمين في الدولة الإسلامية التزاما عليها. والقرآن يسميهم (أهل الكتاب). وبفضل هذا القانون الإلهي تمتعت الأقليات الدينية بالحكم الذاتي في المسائل الدينية بما في ذلك مسائل الأسرة والحدود والميراث، وتمتعت الأقليات الدينية بالحماية، ولم تمنع الدولة الإسلامية المسيحيين من أن يقوموا بتربية الخنازير والتجارة في الخمور، ولم تمنع اليهود من التعامل بالربا في المسائل المالية، والتزمت الدولة الإسلامية بحماية حياتهم وأموالهم وأماكنهم، وحماية ممارساتهم لشعائرتهم الدينية، وتمتعت الكنائس والمعابد بنفس الحماية التي تكفلها الدولة للمساجد بلا تفرقة.

ويشير (د. هوفمان) إلى الحديث (من آذى ذميا فقد آذى الله) وإلى أن جريمة قتل مسيحي تتساوى مع جريمة قتل مسلم، ولم تختلف معاملة أهل الكتاب أو الذميين عن المسلمين في الدولة الإسلامية إلا في ثلاث نقاط فقط: الأولى أنهم لم يكونوا ملزمين بالانضمام للجيش، والثانية أنهم كانوا في مقابل ذلك يدفعون ضريبة دفاع (الجزية)، ولم تكن تزيد على ما يدفعه المسلم للزكاة، وكانت الدولة الإسلامية ترد الجزية إلى أهل الذمة حين لا تتمكن الدولة من رد المعتدى الأجنبي عن البلاد، كما حدث في عهد الخليفة عمر بن الخطاب عندما أعلن أبو عبيدة شكه في قدرته على رد العدو البيزنطي وردة عن البلاد، وبالتالي احتمال عدم قدرته على حماية أهل الذمة، فأعاد عمر إليهم الجزية.

ونقطة الاختلاف الثالثة أن أهل الذمة يشاركون في الإدارة العامة للدولة وفي اتخاذ القرارات ويكون منهم وزراء وحكام كما حدث في الدولة الإسلامية، وكان شائعا على مر التاريخ الإسلامي حتى يومنا هذا، ويكون الحاكم في الدولة الإسلامية مسلما. ولا تفرقة في المعاملة بين المسلم وغير المسلم، ولا تمييز من أى نوع في الدولة الإسلامية.

ويقول (د. هوفمان): إن المبدأ الإسلامي بحماية الأقليات لم يقتصر على أهل الكتاب.. بل اتسع حتى شمل أصحاب ديانات غير كتابية مثل الزرادشتية في إيران كما شمل مفهوم الحماية الهندوسية أيضا، وحتى المشركون فإنهم يتمتعون بحماية الإسلام، ويستشهد (د. هوفمان) على ذلك بالآية ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ (التوبة ٦).. فهؤلاء لا يسمح الإسلام بإكراههم على شيء ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ وينتهي (د. هوفمان) إلى أنه ليس هناك سند قرآني يبيح السلوك غير المذهب إزاء غير المسلم، ولذلك استطاع المسيحيون واليهود أن يقوموا بدور إيجابي في المجتمعات المسلمة، وكان الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان متزوجا من مسيحية، ومن قبله تزوج الرسول (صلى الله عليه وسلم) من السيدة ماري القبطية والسيدة صفية اليهودية (قبل أن تسلم).



يقدم لنا (د. هوفمان) الصورة على الجانب الآخر، فالأقليات المسلمة في الغرب تلتزم بقوانين البلاد التي يعيشون فيها، والمذهب الحنفي أعفى المسلم المقيم في دولة غير إسلامية من بعض المبادئ مثل الربا. ويعبر د. هوفمان عن مطالب الأقلية المسلمة في كل بلد من بلاد الغرب فيقول: إن المسلمين في الغرب يطالبون بالمساواة والكف عن الكيل بمكيالين. ويعرض أدلة على التمييز ضد المسلمين في الغرب، فيقول: إن بناء مسجد لا يتم التصريح به إلا بعد عدة سنوات من تقديم الطلب، ويصرح بالبناء في موقع رديء بجوار سلخانة أو خلف القطارات. ولا بد من مفاوضات من أجل ارتفاع كل متر للمئذنة، ولا يتم التصريح ببناء قبة للمسجد، وكثيرا ما يمنع استخدام المئذنة للأذان مع أنه لا يوجد ما يمنع ذلك قانونا، وكثيرا ما توضع العقبات أمام بناء مسجد ولا يتم إلا بعد اللجوء إلى المحكمة، ومع ذلك كثيرا ما يرفض المسؤولون إعطاء التصاريح ولا يختلف الوضع في فرنسا عنه في ألمانيا.

ويقول (د. هوفمان): إن المسلمين في ألمانيا يستفزه من أن تقوم بعض السلطات غير المسلمة بتفسير القرآن للمسلمين، بدءا من رئيس هيئة حماية الدستور ومرورا برئيس الكنيسة الإنجيلية في مقاطعة (هسن ونساو) ووزيرة الثقافة في مقاطعة (بادن- فرتمبرج) وصولا إلى المحاكم الإدارية، وهؤلاء يفسرون الإسلام للمسلمين ويقررون أنهم يحق لهم أكل لحم الخنزير، وارتداء البيكني.

وهذا ما يجعل المسلمين يرون في ذلك صورة من صور (الامبريالية الثقافية) الأوروبية، ويقول (د. هوفمان): ذلك يحدث بالنسبة للإسلام، ولكن لا يجرؤ أحد تحت أى ظرف أن يسمح لنفسه بتفسير التوراة أو التلمود للمواطنين اليهود (!) ويتحدث المسلمون فيما بينهم بسخرية لسماح السلطات الألمانية لليهود بالذبح وفق شريعتهم، بينما تعتبر السلطات الذبح بهذه الطريقة مخالفا لحقوق الحيوان بالنسبة للمسلمين، مع أن طريقة الذبح فى اليهودية والإسلام واحدة، وحين لجأ المسلمون إلى محكمة إدارية أعطت المحكمة لنفسها الحق فى تفسير القرآن وقررت أن للمسلمين التغاضى عن الذبح الشرعى، وأن القرآن يسمح فى حالة الضرورة القسوى بأكل ما نهى عنه، وعلى ذلك بإمكان المسلمين أن يتناولوا جميع أنواع اللحوم. ولم يتبين القاضى بطبيعية الحال أن الضرورة المقصودة هى حالة تعرض المسلم للموت جوعا. وفى نفس الوقت فإن القرآن ينص على أن طعام أهل الكتاب حلال للمسلمين على ألا يكون من لحم الخنزير. وما يثير المسلمين هو أن تعطى المحاكم والسلطات غير المسلمة لنفسها الحق فى تحديد ما يجب على المسلم أن يفعله فى المسائل المتصلة بعقيدته، ومن ذلك أيضا تدريس الدين الإسلامى فى المدارس الألمانية تحت إشراف الحكومة، وفى البداية اعتبر المسلمون ذلك انتصارا، لكن وزارة التعليم تحدد مناهج الدين الإسلامى للمسلمين فى مدارسها دون الرجوع إلى أية جهة إسلامية، وليس مستبعدا أن يتولى تدريس مبادئ الإسلام للتلاميذ المسلمين مدرسون غير مسلمين. ونظام العمل فى ألمانيا يجعل من الصعب على المسلم صيام رمضان ولا تراعى ذلك السلطات وجهات العمل.

وفى عام ١٩٩٨ اقترح أحد نواب البرلمان الألمانى منع تدريس الدين الإسلامى بالمدارس الحكومية بحجة أن ذلك سيؤدى إلى تشكيل جسم غريب عن بقية المجتمع قد يؤدى إلى تغيير المجتمع الألمانى على المدى الطويل.



ويتحدث (د. هوفمان) بصراحة عن نصيب المسلمين من المسئولية عما وصلت إليه صورة الإسلام من تشويه فى الغرب، إذ يجب ألا نلقى باللوم كله على الغرب على أنه الجانى وأن المسلمين هم الضحية والمجنى عليهم، ومثال على ذلك أن الولايات المتحدة لجأت إلى توجيه الاتهامات إلى المسلمين وحدهم فور وقوع أحداث ١١ سبتمبر، لأنها كان لديها بعض الأدلة، وإن كانت غير مؤكدة، إلا أنها تشير إلى عداة تنظيم القاعدة وأسامة بن لادن لأمرىكا وأنهم على استعداد لتوجيه ضربات إليها وتهديد مصالحها. وأسامة بن لادن سجل شريط فيديو يدعو فيه أتباعه إلى ضرب الأمريكان حيث كانوا، وهذا يعتبر دليلا ضده. كذلك فإن تفجير سفارتي الولايات المتحدة فى كينيا وتنزانيا دليل آخر جعل الأمريكان يربطون أحداث سبتمبر بأسامة بن لادن. وبالإضافة إلى ذلك فإن (محمد عطا) المتهم الرئيسى درس الهندسة، ثم درس الطيران. هذه أدلة استند إليها الأمريكان،

وإن لم تكن قاطعة إلا أنه من الممكن أن يكون تنظيم القاعدة وأسامة بن لادن وراء هذه الأحداث، ولكن ذلك ليس معناه أن الإسلام مسئول عن هذه التصرفات، أو أنه يدعو إليها.

ولذلك يجب أن يتكلم المسلمون بصراحة وبوضوح مع الغربيين، وأن تكون مواقفهم حاسمة، وحينما يتكلمون عن أسامة بن لادن يمكن أن يقولوا: إنه فعلا مسلم، وهو مخطئ إذا كان هو المسئول عن هذه الأعمال، ونوضح الفرق بين مبادئ وتعاليم الإسلام والسلوك الفردي للمسلم أو السلوك الجماعي لعدد من المسلمين. فليس شرطا أن يكونوا ممثلين ومعبّرين عن الإسلام، ونستشهد بأدلة من القرآن والسنة على أن الدين الإسلامي ضد التشدد والإرهاب، وضد قتل الأبرياء، وأنه دين لا يحض على الانتحار، لأن حياة الإنسان ليست ملكا له ولكنها ملك لله، والله هو وحده الذى يعطى الحياة وهو وحده الذى ينهيها، والإنسان الذى ينتحر يتصرف ضد إرادة الله - والله يأمر المسلم بالحرب للدفاع عن النفس ورد العدوان. وهناك فرق بين العمليات الانتحارية، فالقتال مشروع فى الإسلام لأن المسلم يقاتل دفاعا عن دينه أو عن نفسه أو وطنه أو ماله، ولا يلقي بنفسه إلى التهلكة، وإن كان من المحتمل أن يموت فى القتال، ولكن ذلك ليس بإرادته، ثم إن هناك أملا فى النجاة، فهو ناهب للقتال وليس للانتحار، وعنده يقين بأنه قد يموت ولكنه لا يفقد الأمل فى أنه يمكن أن يعود سليما، أما الانتحارى فهو يقتل نفسه. وهكذا يمكن أن نحسن صورة الإسلام بالاستشهاد بآيات من القرآن تؤكد أن الإسلام ضد قتل الأبرياء، وضد التزمت، وضد الانتحار، وضد الإرهاب.



الخطأ الذى وقع فيه بعض المسلمين واستغله البعض لتشويه صورة الإسلام فى الغرب أنهم حاولوا الدفاع عن الإسلام لكن بطريقة التفكير التى تقوم دائما على توهم وجود مؤامرة فى كل موقف، وعلى رغم أن الوصول إلى الحقيقة سهل من خلال طرق واضحة، فإن هؤلاء المسلمين سلكوا الطريق الخطأ فى محاولتهم لتبرئة المسلمين من المسئولية عن أحداث ١١ سبتمبر، فقالوا: إنه لم تكن هناك طائرات اصطدمت بالبنتاجون، بينما العالم كله شهد الطائرة والدمار الذى لحق بوزارة الدفاع الأمريكية. بل إن بعض ركاب الطائرة التى اصطدمت بمبنى التجارة العالمى بنيويورك اتصلوا بذويهم بالتليفون المحمول قبل ارتطام الطائرة بالمبنى. فإذا حاول البعض إنكار واقعة حدثت بالفعل فإن ذلك يجعل الغرب لا يصدقنا وقد يرفض الاستماع إلى وجهة نظرنا. ويقول (د. هوفمان): هذا يذكرنى بمنطق الألمان حينما كانوا أثناء الحرب العالمية الثانية يقولون: نحن لا بد أن نكسب الحرب لأننا لا يمكن أن نخسر وليس من المعقول أن نهزم، وهذا منطق مضحك. والمفروض أن يؤكد المسلمون للغرب أن قانون الحرب فى الإسلام ينهى عن قتل النساء والأطفال ورجال الدين من جميع الأديان. وينهى حتى عن قتل حيوان أو قطع شجرة.

وكذلك ينيبه (د. هوفمان) إلى الخطأ في اختيار الدعاة في الغرب. فالمسلمون في الغرب يفضلون أن يختاروا أئمتهم ووعاظهم بأنفسهم ممن يعيشون في مثل ظروفهم، ويتكلمون بلغاتهم، ولا يتفاعلون مع الأئمة الذين ترسلهم الحكومات لأنهم قد يكون مستواهم ضعيفا ومعلوماتهم سطحية بالمقارنة بمن يعيشون في الغرب. كذلك فإن هؤلاء الدعاة الزائرين يذهبون إلى بلاد غريبة لا يعرفون تقاليدها والقيم السائدة فيها، ولا يعرفون الجماعات التي يخاطبونها هل هم من الملحدين أو من المؤمنين؟. وهل هم متشددون أو متسامحون؟ وهل هم على دراية بمبادئ الإسلام أو أن فكرتهم عن الإسلام سطحية وعامة؟ والدعوة يجب أن تتناسب مع من يتوجه إليهم الداعية. وبالإضافة إلى ذلك فإن سلوك الداعية - وسلوك المسلم عموما - في غاية الأهمية، لأنه لا فائدة من الكلام عن تسامح الإسلام بينما يشاهد الغربيون أن المسلمين متشددون.

وفي رأى (د. هوفمان) أن أحداث ١١ سبتمبر سوف يستمر تأثيرها في الغرب لفترة طويلة. والمشكلة أن كثيرا من المسلمين لا يرون في الغرب إلا السلبيات، مع أن في الغرب إيجابيات كثيرة في القيم والسلوك والأخلاق. ومن صالح المسلمين ألا يقتصرُوا على الحديث عن السلبيات في الغرب دون ذكر للإيجابيات، لأن ذلك سيؤدي إلا ظهور أجيال من المسلمين يكرهون الغرب ويرفضون ما يأتي منه ويحرمون أنفسهم وأوطانهم من إنجازات الحضارة الغربية. وتقضى الحكمة بالتزام الموضوعية في الحديث عن المجتمعات الغربية ما لها وما عليها، وهذا لا يمنع من توجيه النقد ذاته إلى الغرب لأن الاتجاه الغالب فيه هو النظر إلى العالم الإسلامي على أنه مصدر للثروات الطبيعية والبتروال الذي يسهون للسيطرة عليه، وأنه السوق الأكبر لمنتجات الغرب.. وفيما عدا ذلك فإن كل ما فيه سلبيات.

كيف يمكن الوصول إلى نقطة التقاء بين الغرب والعالم الإسلامي؟.

يجيب (د. هوفمان) بأن ذلك ممكن، بل هو ضروري لأن البديل هو العداء والكرهية والصراع، بينما هناك مصالح متبادلة للطرفين، وسوف يسود السلام والاستقرار العالم عندما تتخلى القوى الكبرى عن سياساتها المعادية لقضايا المسلمين وتأييدها لعدوان إسرائيل، وتقوم بدور بارز في تحقيق السلام بين العرب وإسرائيل على أساس عادل، حينئذ سوف تتحسن العلاقات كثيرا بين أمريكا وأوروبا وبين دول وشعوب العالم الإسلامي وبخاصة الدول العربية.



ويتحدث (د. هوفمان) عن جاذبية الإسلام لبعض الغربيين ويرى أنها مدخل جيد لتصحيح صورة الإسلام التي يشوهها الإعلام والساسة، ففي الغرب تجد نماذج لشباب أدى اعتناقهم للإسلام إلى تحول هائل في شخصياتهم، وربما يكون منهم من قرأ كتب (كارل ماي) Karl May فأثارت

فى نفسه شغفا بكل ما هو إسلامى وعربى وشرقى فاتجه إلى دراسة علوم الإسلام. وهؤلاء ينفذون تعاليم الإسلام بدقة، ويلتزمون حرفيا بتفاصيل سلوك الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وبعضهم يبالبغون فى تقليد المسلمين فى ملابسهم وطعامهم ولغتهم، وهؤلاء يمكن اعتبارهم مسلمين غربيين رومانسيين، لكنهم بذلك يؤكدون عند غيرهم فى المجتمعات الغربية الحكم المسبق بأن الإسلام دين عربى قبلى يرفض الحضارة الحديثة. هؤلاء يجذبهم نمط الحياة الإسلامية حيث تماسك العائلة بينما تعاني الأسرة الغربية من التفكك، والحقيقة التى تجذب كثيرين فى الغرب هى أن العائلة فى العالم الإسلامى - سواء ثرية أم فقيرة - تمثل النسيج الأساسى للمجتمع، وتقوم بالوظائف التى أصبحت من وظائف الدولة فى الغرب مثل تأمين العلاج، ومساعدة العاطلين عن العمل، وتحمل مسئولية رعاية العجزة وكبار السن والمصابين فى حوادث. ففى العائلة المسلمة - كما فى كرم الضيافة - يجد الفرد الأمان النفسى والدفاء العاطفى وهذا غير موجود فى الغرب. كما يلاحظ الغربيون أن إيمان المسلمين بالقضاء والقدر وبوجود حياة وحساب بعد الموت يؤديان إلى التوازن النفسى بدلا من حالة الصراع والقلق التى يعانى منها الإنسان الغربى.

ولكن - على الجانب الآخر - سنجد فى الغرب من يرى فى هذه الفضائل أسبابا لتخلف العالم الإسلامى. وهؤلاء يقولون: إن الإسلام هاجر من العالم الإسلامى، وهذا المعنى نجده عند الشيخ محمد عبده الذى قال: إنه وجد فى الغرب أناسا يسلكون سلوك الإسلام وهم ليسوا مسلمين، ووجد فى الشرق مسلمين وسلوكهم غير إسلامى. ونجد هذا المعنى أيضا فى المقولة الشهيرة للشيخ محمد الغزالي: إن بالغرب مسلمين قلائل والكثير من الإسلام، وفى كثير من أجزاء العالم الإسلامى مسلمون كثيرون وقليل من الإسلام. هؤلاء يرون أن العالم الإسلامى متخلف يعيش على استيراد التكنولوجيا من الغرب، والترابط العائلى فى العالم الإسلامى يمثل عاملا أساسيا للفساد فى الحياة السياسية والاجتماعية، حيث تقسم المناصب على الأقارب غير المؤهلين والذين تنقصهم الكفاءة، وبذلك تحرم بعض الدول الإسلامية من الكفاءات الحقيقية الموجودة فيها بسبب المحسوبية. كذلك فإن الدول الإسلامية تستعين بعمال فقراء من دول أخرى ولا تعاملهم معاملة تتفق مع القيم الإسلامية، فتجربهم من اصطحاب عائلاتهم، ومن المعاشات أو مكافآت انتهاء الخدمة، ولا توفر لهم ظروفًا معيشية إنسانية. وتجد صورا من البذخ والإسراف الزائدين فى دول إسلامية يعيش فيها فقراء لا يجدون لقمة العيش، وما يلقى من بقايا طعام الأغنياء من الممكن أن يكفى جميع الفقراء، ومع ذلك فإن إسلامهم لا يدفعهم إلى مراعاة العدالة الاجتماعية التى يطالبهم بها الإسلام. بل إن فى بعض البلاد الإسلامية تهتم الطبقة العليا برعاية الخيول أكثر من اهتمامها برعاية الفقراء والأيتام .. - وكل ذلك يثير استغراب المراقب الغربى. كما يثير استغرابه تلازم الحكم المطلق مع الادعاء بأن هذا هو الحكم الإسلامى، مما يولد الشعور بأن الإسلام ضد الديمقراطية وحرية الشعوب

ومساءلة الحكام، وأن المجتمع المسلم غير مؤهل للممارسة السياسية الحرة والحوار السلمي كوسيلة للتغيير. كما يؤكد فكرة أن المجتمع المسلم عاجز عن تحقيق إنجازات علمية جديدة، لأن نقد الذات وافتراض الشك فيما هو قائم هو السبيل للتقدم العلمى والاجتماعى.



ومما يثير دهشة الغربيين أيضا عدم إحساس المسلمين بالوقت وعدم الدقة فى المواعيد، ويعتبرون ذلك - بمفهوم الغرب - عدم احترام للآخرين، وتبديدا للوقت الذى يعطيه الإنسان الغربى أهمية كبيرة. وكذلك وجود حركات إسلامية متعددة بينها اختلافات وصراعات أكثر من اختلافاتها وصراعاتها مع من تعتبرهم (العدو)، وكل منظمة تعتبر نفسها هى المعبرة عن الإسلام الصحيح وكل ما عداها كفر وضلال. وأكثر ما يثير الدهشة لدى الغربى أن يجد بعض المسلمين يركزون اهتمامهم فى أمور هامشية - كما يزعمون - ويجادلون - وقد يكفر بعضهم بعضا - حول: هل طلاء الأظافر حرام؟ وهل (الباروكة) تصلح غطاء رأس شرعياً للمرأة؟ وهل تركيب أسنان ذهبية حلال أو حرام؟ وهل يجوز تناول أدوية أو استعمال مستحضرات طبية يدخل فيها الكحول؟ وهل يجوز إهداء القرآن لغير المسلم؟ وهل تجوز مصافحة الرجال والنساء باليد؟ وإذا كان البحث فى هذه الأمور مهما لدى بعض المسلمين فإن الغربيين يرون أن هناك ما هو أهم من ذلك من شئون الدنيا والدين.

يعلق د. هوفمان على كل ذلك بأن العالم الإسلامى سيظل - مع ذلك - ملاذا للروحانيات لمعرفة الله ومعاشية المقدسات، بينما سيطرت المادة والمصلحة على الغرب، حتى العلاقات الإنسانية، وحتى علاقات الحب تحكمها قوانين السوق والبحث عن الربح، وكل ما لا تمكن ترجمته إلى أرقام لا قيمة له فى الغرب، ولذلك فإن العالم الإسلامى يمكن أن يقدم الكثير للغرب.



ويوجه (د. هوفمان) النقد إلى الإعلام فى الغرب، فيقول: إن موقفه العدائى من الإسلام والمسلمين واضح، إذ لا يثير إعلان نجم سينمائى مثل (ريتشارد جير) اعتناقه البوذية أدنى تساؤل، أما عندما أعلنت مجموعة من الكاهنات الألمانيات أنها فى طريقها إلى تركيا لخدمة المجتمع فلا يناههن من الإعلام سوى السخرية. ويمكن للإنسان الغربى أن يعلن بلا خوف أو استحياء أنه يؤمن بالماركسية الجديدة، أو أنه ملحد، أو أنه متصوف بلا دين، لا يجد من المجتمع نقدا ولا ينبذها الناس.

أما الطقوس اليهودية فهى التى تحوز الرضا والإعجاب فى المجتمع الغربى حتى ما يتماثل منها مع شعائر المسلمين، لكنها عندما تصدر من المسلمين فإنها توصف بأنها غريبة وشاذة ومن بقايا العصور القديمة، بل يقال: إنها مخالفة للدستور فملابس المتشددى اليهود، وفصل اليهود بين الرجال والنساء، وقواعدهم الصارمة فى الطعام، وتمسكهم بالذبح وفق شريعتهم، وتشددهم

فى التكليف الدينية، كل ذلك مقبول فى المجتمع الغربى دون أدنى اعتراض، ولكن الأمر يختلف تماما عندما يتعلق بالمسلمين، فاللحبة التى تدل على التقدمية عند اليهود وغيرهم من الفنانين والسياسيين الغربيين تكون دليلا على الرجعية والتخلف عند المسلم، وغطاء الرأس الذى تتحلى به السيدة مريم العذراء فى الأيقونات وفى صورها ويثير مشاعر الاحترام، يتحول إلى شىء مثير للكرهية إذا وضعته فتاة مسلمة، ونحر الذبائح وفق الشريعة الإسلامية يعتبر عملا غير إنسانى ومخالفا لميثاق حقوق الحيوان، وهذا الفعل ذاته يقوم به اليهود دون أن يرى أحد فى الغرب أن فيه ما يستحق التعليق!

ويشير د. هوفمان إلى دراسة بريطانية صدرت عام ١٩٩٧ من إعداد Runnymede Trust توصلت إلى النتيجة التالية: (إن فوبيا الإسلام هى الرعب منه وكرهيته، وقد عاشت هذه الفوبيا عدة قرون فى البلاد الغربية، ولكنها أخذت فى السنوات العشرين الأخيرة شكلا أكثر تطرفا وخطورة، وأكثر علانية، حتى أصبحت فوبيا الإسلام مكونا أساسيا من مكونات الإعلام والثقافة، كما أنها تسود فى جميع المجالات وأنحاء المجتمع). ويعلق على ذلك بأن هذه الحالة من نتائج ما يقدمه الإعلام والصحفيون والكتّاب مثلهم مثل غيرهم من الناس فى الغرب، ضحية للصورة المشوهة للإسلام التى توارثوها عبر أجيال وقرون، ومن ناحية أخرى فهم الذين يزيّدون ترسيخ هذه الصورة المشوهة فى عقول الناس. والمشكلة أن وسائل الإعلام تصور الإسلام وتتعامل معه على أنه أيديولوجية أكثر من كونه دينا وعقيدة. ومثال ذلك الملحق الخاص الذى أصدرته مجلة (دير شبيجل) كبرى المجلات الألمانية وأكثرها احتراما فى يناير ١٩٩٨ بعنوان (الإسلام للغز) وحمل الغلاف صورة امرأة مسلمة حواجبها على هيئة سيوف، أما فى الموسوعة (الإسلام من الألف إلى الياء) فلم تظهر كلمة (الله) ولم يظهر اسم (محمد) أما (مكة) فقد وصفها شخص يبدو أنه لم يشاهدها أبدا.

أما الانطباع الثانى فى وسائل الإعلام الغربية عن الإسلام فهو أنه دين عدوانى وتوسعى، أى إنه دين حرب، دين التعصب والإرهاب. والأصوات التى تعارض هذا الاتجاه موجودة ولكنها قليلة جدا، مثل كتاب الباحث (ولفجانج جينتر ليرش) (الإسلام والإرهاب) ولذلك فلا غرابة فى أن يقول رئيس المجلس الاتحادى لحماية الدستور فى ألمانيا عام ١٩٩٧: (سيصبح الإسلام فى القرن المقبل خطرا داهما) وذلك فى حديث له نشرته مجلة (دير شبيجل) تحت عنوان (تبرير القتل). وعندما طالب المسلمون فى مقاطعة (هيسن) بحذف كل ما يسيء إلى الإسلام فى المقررات الدراسية الألمانية رفض الطلب. وسارت على نفس الطريق قناة التلفزيون الخاص (RTL) يوم ١٨ سبتمبر ١٩٩٤ فأذاعت برنامجا بعنوان (الإرهاب باسم الله) حذرت فيه من المد الأصولى الإسلامى العالمى، كذلك فإن القنوات العامة للتلفزيون الألمانى لا تقل عنفا فى تعاملها مع الإسلام، فقد أصابت إذاعة بافاريا الألمان بالذهول عندما قالت- فى نوفمبر ١٩٩٧- إن حمل السلاح مكون أساسى من هوية المسلم.

وتدعم وسائل الإعلام الغربية الانطباع السائد بأن الإسلام دين عفا عليه الزمن ولا أمل في إصلاحه أو تنوير المسلمين، وسيظل غارقاً في ظلام العصور الوسطى، وتبالغ في إبراز تخلف الإسلام بمقارنته بالنموذج الغربي فيما يخص الجانب الشخصي للإنسان (الوعي الفردي، والمواطنة، والمجتمع المدني، والعقلانية) وينشر الإعلام المفهوم القائل بأن العلاقة بين الإسلام وحقوق الإنسان مثل العلاقة بين النار والماء، وأنه من المحال أن يتقبل الإسلام حرية الرأي. وتنتشر بعض الصحف كتابات ساخرة عن الإسلام حتى إن مجلة (دي زيت Die Zeit) نشرت في ٢٦ مايو ١٩٩٥ مقالا جاء فيه: (لم يكن عند محمد ثلاثة، وكان يقضى حاجته أمام النسوة، وكان يسكر بعد تناول كوبين من البيرة، هذا هو كل ما في الإسلام) ويصحب ذكر الإسلام دائما صفات مثل (الاستبداد الشرقي، والوحشية في قطع الأيدي، والتمسك بأخلاقيات بالية مثل العفة قبل الزواج (١) وتحريم العلاقات خارج الزواج (١) والإجهاض، والشذوذ الجنسي (١). وموقف الإسلام البدائي من الفن والعلم (١) ونظام الإسلام الاجتماعي المستبد الأبوي، غير الديمقراطي (١!). وأن القرآن نص من العصور الحجرية (١) والإسلام عودة إلى عصور البربرية والوحشية (١).

ويعلق د. هوفمان على ذلك بأن هذا التحريض ينسف الفرص لإعادة العلاقات الطبيعية بين الغرب والإسلام.

ولكن تلك الصورة القاتمة لا تعنى عدم وجود باحثين وإعلاميين في الغرب أنصفوا الإسلام وهؤلاء يمثلون بارقة أمل في نشر الموقف الموضوعي من الإسلام. ويذكر (د. هوفمان) قائمة من هؤلاء المنصفين للإسلام ومنهم: فرانسوا بورجات Francois Burgat الفرنسي، وجون ايوسيتو John Eposito الأمريكي، ودانيل جيماري Daniel Gimaret الفرنسي، وجودرون كرومر Gudrun Krumer الألمانية، وجورج نيلسون Jorg Nielsen البريطاني، ونيل روبنسون Neil Ropinson البريطاني، ورينالد شولتز Reinhold Schulze الألماني، وجيمس بيسكاتوري James Piscatori في مركز اكسفورد للدراسات الإسلامية في بريطانيا، وأرماندو سالفاتور Armando Salvatore الألماني.

وهكذا فإن الإسلام يجد دائما من يقول عنه كلمة حق وسط الضلال.